# تعريب الطب والعلوم الطبية


## الأستاذ الدكتور فيصل عبداللطيف الناصر

**أستاذ طب الأسرة**

**رئيس قسم طب الاسرة والمجتمع**

**أمين عام الجمعية الدولية لتاريخ الطب الإسلامي - جامعة الخليج العربي - مملكة البحرين**


إن تعريب التعليم الطبي في الوطن العربي لهو جزء من تعريب التعليم العالي. وإن تعريب التعليم العالي بدوره جزء من تعريب نظام التعليم بأكمله. لكننا نعتقد بكل إخلاص أن التعريب لابد ان يبدأ حتى في المرحلة الإبتدائية. ولكن ومع الاسف انه بالرغم من مرور اكثر من نصف قرن على استقلال الأقطار العربيه إلا أنه ما زالت في أجزاء من الوطن العربي قوى تتهيب هذه العملية. وبالتالي أصبحنا نرى بين ظهرانينا في قلب الوطن العربي من اعتنق مختاراً أو مضطراً اللغات الأجنبية في تعليم الطب بينما راقبنا ثقافات أخرى عديدة وفي دول عربية تستمسك كل منها بلغتها الأم في هذا المجال الحيوي.

نعرف أن هناك صعاباً وعراقيل. نعلم أن هناك مؤيدين ومعارضين ولكننا نردد أن مسيرة الألف ميل لابد أن تبدأ بخطوه وأن أكبر نار قد تتفجر من أصغر شرار. نحن لا نطالب بإغلاق أو تقوقع. بل نحن نرحب بكافة اللغات في ميدان الطب. شريطة أن تبقى الأولويات في حدود المنطق الذي يؤكد أن لغتنا الأم هي الينبوع وهي المصب.

اننا في هذا اللقاء نبدأ بالتقاط خيوط الماضي . نعم نحن نؤكد الماضي. إن الذين يغفلون ماضيهم قضي عليهم وعليهم أن يعيشوا مرة ثانية بزلاته وسلبياته. لكننا يجب ان نؤكد من ان هناك دول كثيرة كبيره ولكن ألأدهى من ان هناك دول وجماعات صغيرة بدأت ولازلت تستخدم لغتها الوطنية في التعليم العالي علي سبيل المثال لا الحصر. ألبانيا واسرائيل. و دول أكبر فعلت ذلك كمثل الصين وكوريا وغيرها.

عندما نسرد تاريخ الأمة العربية نجد ان تعليم الطب بدأ في المرحلة الحديثة باللغة العربية. حيث أنشئت في مصر منذ أكثر من قرن ونصف من الزمان وبالتحديد في عام 1827م أول كلية طب في أبي زعبل أيام محمد علي الكبير (كلية طب قصر العيني التي لم يكن أسمها القصر العيني في ذلك الوقت). وفي ذلك الوقت لم تكن الامة تملك ما تملكه الآن من خبرات وفيرة وإمكانات غزيرة بل كان التعليم الطبي يبدأ من خط الصفر . فكانوا يستقطبون الأساتذة الأجانب و يتم الترجمة لهم في قاعات المحاضرات. ولم يكن هناك مترجمون متخصصون، إلا شخص لا يجيد الترجمة إلا من اللغة الإيطالية فترجمت الكتب الفرنسية إلى الإيطالية ثم إلى العربية، وأقول العربية الركيكة، ولكن كان يتم تصويبها بوساطة أساتذة من الأزهر، وبالرغم من ذلك استمر التدريس باللغة العربية، وفي هذه الفترة تم تأليف 53 كتابا في الطب وأدرجت اللغة الفرنسية في منهاج الدراسة الطبية كمادة إضافية، وأوفد الخريجون إلى فرنسا للحصول على مزيد من التعليم والتدريب وكلف كل مبعوث بأن يترجم إلى العربية كتاباً من بين مراجعه، ولم تمض سنوات قليلة حتى كانت الإدارة العربية الصلبة قد أكملت نظاماً تعليمياً منضبطاً ومراجع طبية وفيرة ومصطلحات علمية سليمة متفق عليها، واستمر ذلك 60 عاما. وعندما بدأ الاستعمار البريطاني لمصر عام 1882م وفي غضون خمس سنوات تحول تعليم الطب من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية.

وفي بيروت في عام 1866م أنشئت الكلية السورية الإنجيلية التي سميت فيما بعد بالجامعة الأمريكية ببيروت، وأنشئت بعدها عام 1883م مدرسة الطب اليسوعية، وكان الطب يعلم فيها باللغة العربية إلى أن غزا الاستعمار لبنان، وتحول تعليم الطب في هاتين الكليتين إلى الإنجليزية والفرنسية.

التجربة الوحيدة التي شذت عن هذه القاعدة هي في سوريا، حيث أنشأت جامعة دمشق في 1903م و هي مدرسة عربية اللسان وافتتحت بها المدرسه الطبيه بفرعيها البشري والصيدلة وكانت تابعة لجامعة اسطنبول ولغة الدراسة بها هي التركية. وعند الاستقلال تأسست حكومة عربية في بلاد الشام عام 1918 فعملت هذه الحكومة علي انشاء الهيئة الاولي للترجمة والتأليف لنشر الثقافة العربية. وفي عام 1919 اعيد افتتاح المعهد الطبي العربي حيث كانت لغة التدريس بالعربية وكان شرط تسمية الاساتذة هو أن يحسنوا التدريس باللغة العربية. وفي 1920 حاول الفرنسيون إغلاق المعهد الطبي الا انهم لم يتمكنوا. وعلى الرغم من ان الاستعمار الفرنسي دام أكثر من ربع قرن، الا ان الأساتذة كانو يصرون على أن يعلموا بلغتهم الام. وفي 1921 أنشاء مقر طب الاسنان بالمعهد. وتم تأليف معجم المصطلحات الطبية بواسطة مرشد خطاب واحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الكواكبي الذي احتوي علي 14534 كلمة. ثم في عام 1983 نشر د. حسين السبع مجلد ضخم من 1102 صفحة من المصطلحات المترجمة.

وقد يظن البعض أن تعليم الطب باللغة العربية في سوريا أدى إلى تدني مستواه ولكي يحقق في الأمر، اجري الاستاذ الدكتور زهير السباعي من جامعة الملك فيصل بالسعودية بحثا عن نتائج الأطباء السوريين في امتحان (ECFMG) وهو امتحان المجلس التعليمي الامريكي للأطباء الأجانب الذي يعقد باللغة الإنجليزية عدة مرات كل عام بالولايات المتحدة الأمريكية، ويتقدم إليه في كل مرة نحو عشرة آلاف طبيب من مختلف أنحاء العالم، ومن يجتازه يحق له العمل أو الدراسة الطبية العليا في الولايات المتحدة الأمريكية. فجدول 1 يبين أن مستوى الأطباء السوريين لا يقل في امتحان ECFMG عن مستوى زملائهم الأطباء من مختلف أنحاء العالم. أي أن تعلم الطب باللغة العربية لم يكن عائقا أمام الأطباء السوريين يحول دون أدائهم للامتحان واجتيازهم له بنجاح.

يقول الدكتور علي فخرو وزير التربيه البحريني السابق (ان علماء آخرون يؤكدون أن اللغة القومية الواحدة تيسر عمليات التعلم والتعليم وتفتح باب ديمقراطية التعليم على مصراعية لاستنباط الكتلة الحرجة من الموارد البشرية التي لا بد منها كي تعطي مشاريع الإنماء ثمارها).

وقد أجريت في معاهد كثيرة في العديد من البلدان العربية دراسات تربوية على طلاب في مراحل تعليمية مختلفة تبين منها أن التعليم باللغة الأم ييسر على المعلم أن يعلم ويسهل للطالب أن يحصل. ومن المقولات المشهورة لدينا هو طلب العلم ولو في الصين، ولكن لكي تطلب العلم في الصين لا بد أن تجيد الصينية.

يقول الأستاذ الدكتور خيري أحمد السمره أستاذ جراحة المخ والأعصاب عميد كلية طب قصر العيني السابق "إن معظم دول العالم تدرس الطب بلغتها فالإنجليزي يدرس الطب بالإنجليزية والفرنسي بالفرنسية والألماني بالألمانية والأسباني بالأسبانية والصيني بالصينية والياباني باليابانية... الخ. حتى اللغات المنسية والشبه منقرضة مثل العبرية تستخدمها إسرائيل في تعليم طلابها. هذا وليس معنى تدريس الطب باللغة العربية اهمال معرفة لغة أجنبية لذا يتحتم تدريس اللغة الإنجليزية في جميع سنوات الدراسة الطبية وان يوضع مقرر مكثف لذلك يقوم بتدريسه أساتذة متخصصون من كليات الآداب أو الألسن مثلا فيصبح خريج الطب الدارس باللغة العربية متمكنا تماما من اللغة الإنجليزية وبالتالي يمكن له حضور الندوات والمؤتمرات العالمية".

هذا ولقد أجرت منظمة الصحة العالمية في الثمانينات من هذا القرن دراسة على 1259 كلية طبية في 128 دولة، حيث لوحظ أن البلاد التي لا تزال تعلم الناس بلغة مختلفة عن لسانهم لا تتجاوز أصابع اليدين. و لوحظ كذلك بعض الظواهر ذات المغزى والمدلول ذلك أنه في بورتريكو مثلا والتي تخضع للإدارة الأمريكية تعلم الطب باللغة الإسبانية وفي كندا الخاضعة للتاج البريطاني فالناطقون بالفرنسية يتعلمون بالفرنسية والناطقون بالإنجليزية يتعلمون بتلك اللغة. كما ان في الصين 114 كلية طب كلها تعلم باللغة الصينية، وأحياناً كذلك بسبب اللهجات المحلية بالمنغولية أو اليابانية وتستخدم الإنجليزية والفرنسية في الدراسات العليا. ولم تكن هناك عقبات تحول في الدول دون تعليم الطب ودون تعليم اللغات مثل: الدارية والباشتو والألبانية والهولندية والبرتغالية والألمانية والإسبانية والمنغولية والتشيكية والتشسلوفاكية والكورية والعبرية والفنلندية والسويدية واليونانية والمجرية والآيسلندية والأندنوسية . وعدد سكان هذة الدول ملايين قليلة ولكنهم يعلمون بلغتهم.

ولا شك أن هذا يؤكد ما ذهب إليه ابن خلدون في مقدمته من أن المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب، وفي ذلك يقول "إن النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه، إما لنظرة بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو لكمال الغالب".

وأيضا ما ذهب إليه ابن حزم بقوله "إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط أهلها ودخول غيرهم في مساكنهم".

يقول الدكتور حسين الجزائري الرئيس السابق لمنظمة الصحة العالميه لإقليم شرق البحر الابيض المتوسط " أن غالبية الطلاب لدينا يحاولون أن يحفظوا مع قليل من الفهم ونحن اذ ننادي بأن ندرس باللغة العربية حتى يكون الفهم هو قاعدة ويكون الحفظ فقط عند الضرورة".

| تاريخ الامتحان | إجمالي المتقدمين | معدل العلامات | عدد الأطباء السوريين | معدل العلامات |
|---|---|---|---|---|
| يوليو 1979 | 8930 | 71.8 | 39 | 73.7 |
| يناير 1980 | 9769 | 71.1 | 35 | 71.4 |
| يوليو 1980 | 10879 | 72.0 | 36 | 72.6 |

فالواقع هو أن تدريس الطب في البلاد العربية بلغات أجنبية يعتبر هزيمة نفسية أولا وقبل كل شئ خاصة إذا علمنا أن الطالب عند تخرجه لا يملك في الغالب أن يكتب صفحة واحدة باللغة الإنجليزية دون أن يرتكب العديد من الأخطاء.

فالطالب يتعلم في مراحل الأولى من تعليمه باللغة العربية ثم في المرحلة الجامعية عليه ان يتعلم بلغة أجنبية. وبعد التخرج عليه أن يعاود المريض بالعربية. أليس هذا خلل ؟؟؟؟؟؟؟؟

في دراسة في المملكه العربية السعوديه علي متوسط سرعة القراءة باللغتين العربية والإنجليزية لثلاث فئات: طلبة الطب وأطباء الامتياز والأطباء المقيمين بجامعة الملك فيصل بالدمام وجد ان سرعة القراءة افضل بالنص العربي بين الجميع. وان متوسط القدرة على استيعاب النصوص الطبية باللغه العربية افضل من الإنجليزية.

ولمعرفة مقدار كمية المصطلحات الطبية في الكتب الطبية تم مسح عدد 10 مراجع طبية اساسيه في كلية الطب حيث تبين ان نسبة المصطلحات الطبية كالتالي والتي تبدو قليلة الي حد ما.

في دراسه في مصر للدكتورة سَحَر محمد صبور وجدت : إن 44.8% من الطلاب يترجمون المصطلحات الإنكليزية إلى اللغة العربية لتسهيل دراستهم وأن 70.6% من الطلاب في سنوات دراستهم السريرية يفضلون أن يتعلمّوا كيفية أخذ القصة السريرية للمريض باللغة العربية. وعلى الرغم من انحسار التعريب انحساراً شديداً بوجه عامّ، فإنه يُنظر إلى التعليم باللغة العربية على أنه ملائم في بعض التخصُّصات.

يقول الدكتور جوربيت في دراسه له "لا ينبغي التقليل من الحمولة المعرفية المضافة للغة ثانية اناء تعلم الطب. وان اقدر الجهد الذي يبذله البعض في فك رموز المعجم الطبي من لغة أجنبية خلال العملية الفهميه للمعلومة".

**والسؤال الذي يطرح نفسه هنا :** هل نحن في الدول العربية والذين اخترنا ان ندرس الطب بلغات تختلف عن لغة الام تميزنا بين دول العالم في مجال الطب ؟

والجواب لا..... حيث نجد ان الكثير من الدول التي تدرس بلغتها كمثل اليابان وايران قد امتازت في عدد البحوث المنشورة لديها.

أن النجاح لا محيص عنه، وأن ملازمة المكان أو التراجع لا مبرر له ولا عذر، دعونا نقدم لجيلنا ولأجيال أولادنا وأحفادنا إنجازاً يذكروننا به بالخير والدعاء، وأحذر نفسي وجمهرة علماء الطب والباحثين معي، أحذر من مغبة التهاون في التفكير واتخاذ القرار بالنسبة لتعريب الطب وتطبيق الجدول الزمني لذلك، وأقول لا تدعوا أحفادنا يستخفون بحقبتنا وجيلنا، فلنرفع شعار التعاون لنبدد ظلمات التبعية اللغوية والإحباط الثقافي في مجال تعليم الطب.

ولما للغتنا العربية من حيوية وقابلية للتكيف مع التطور يقول إلى أحد مؤسسي علم اللغة الحديث، وهو إدوار سابير: "إن اللغات الخمس التي كان لها دور رئيس في حمل الحضارة الإنسانية هي: الصينية القديمة، والسنسكريتية، والعربية، واليونانية، واللاتينية". هذه شهادة من مفكر غير عربي يسجّل حقائق التاريخ بحياد وموضوعية.

اذا نحن نرى أن اللغة العربية قادرة على الاستمرار في تأدية هذا الدور. ولا أَدَلَّ على ذلك من أنها – من بين اللغات المشار إليها – هي اللغة الوحيدة التي ما زالت تؤدي دورها في الحضارة الإنسانية إلى يومنا هذا.

لقد صدرت قرارات عديده في هذا الشأن عن مؤتمرات وزراء التعليم لعامي 1981 و 1983 ومؤتمر وزراء الصحة العرب في عام 1986 ووزراء شئون الثقافة العرب 1985 ومؤتمرات وزراء التربية والتعليم ومؤتمرات اتحاد الجامعات العربية ومؤتمر مجمع اللغة العربية ولإتحاد الأطباء العرب. وما صدر عن مؤتمرات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم علما بان المؤتمر الأول عقد بالرباط سنة 1961، وعُقِد المؤتمر الحادي عشر (الأخير) بعمّان (الأردن) سنة 2008م. ومن بين عشرات القرارات والتوصيات الصادرة في هذا الصدد، اسمحوا لي أن أشير بصفة خاصة إلى قرار مؤتمر الطبي العربي الرابع والعشرين الذي عقد في القاهرة في يناير 1988م. ثم ختامها مؤتمر التعريب في البحرين عام 1993 والذي كان لي الشرف العظيم في التنظيم والإعداد له.

ولتطبيق ذلك تم تنظيم المؤتر الاول في الوطن العرب للرعاية الصحية الاولية بالبحرين وكان احد شروطة ان تكون لغة المؤتمر الرئيسية باللغة العربية ولا تقبل فية اية اوراق بأية لغات اخري. فحضر المؤتمر اكثر من 600 شخص كلهم تحاوروا بلغة الام اللغة العربية ولقد لاقي نجاحا غير مسبوق.

علينا ان نتذكر أن دساتير جميع الجامعات العربية تنص صراحة على أن لغة التعليم هي اللغة العربية" وبالتالي فإن عملية التعريب أصبحت في يد أساتذة ورؤساء الجامعات العربية، ولا ادعي عدم وجود صعوبات وان هناك مشاكل عديده سنواجهها الا ان الامكانيه موجودة.

وإن الإنسان ليحزن إذ يجد أن الجامعات العربية – سواء أكان ذلك من خلال اتحاد الجامعات العربية أم من خلال تعاونها الإقليمي أم حتى من خلال تعاونها الثنائي – قد أخفقت حتى الآن في الاتفاق على أية خطوات بهذا الشأن. وهكذا فإن العجز العربي قد مس حتى مؤسسات الفكر والتعليم. ولكن هل تعجز اللغة العربية عن انجاز ما أنجزته لغات أخرى لا تملك مزايا العربية أو مرونتها أو اتساع تطبيقاتها؟ هل نسينا أن علماء العرب القدامى قدموا للطب الحديث كثيرا من المراجع العلمية القيمة باللغة ألعربية وأن النهضة الأوربية الحديثة جاءت بعد النهضة العربية.